تفسير العلامة الإعرابية في جملة النداء

الدكتور: خالد موسى مصطفى العجارمة
المملكة العربية السعودية – جامعة تبوك

ملخص

جاءت هذه الدراسة محاولة لتفسير العلامة الإعرابية في جملة النداء، إذ تتناول هذه الدراسة جملة النداء بين القدماء والمحدثين، وتحاول تعليل العلامة الإعرابية، فتدرس بنية جملة النداء عند القدماء وآراءهم فيها، ومطابقة ذلك مع ما قاله التحويليون من وجود بنيتين للكلام، فجاءت هذه الدراسة محاولة لتفسير الحركة الإعرابية في آخر المنادى.

والذي تراه الدّراسة أن المنادى منصوب بالتحوّل الأسلوبي؛ لأن العربي عندما يغيّر في أسلوبه يغير في التركيب الأسلوبي للنمط اللغوي. ويظهر أثر التّحويلات الأسلوبيّة ماثلا بين الخبر والإنشاء في النحو العربي من خلال النظر في حركة إعراب المنادى أو بنائه.

Abstract

The aim of this study is to explain the syntactic mark of the vocative, as it tackles the structure of the vocative as viewed by the old and modern grammarians in an attempt to find a reason behind this syntactic mark. In doing so, the study discusses the old grammarians' views of the vocative statement structure, comparing these views with the transformational views which argue about the existence of two structures of speech: the Deep Structure and the Surface Structure. Seeking the explanation of the syntactic mark on the last letter of the vocative, the study shows that the vocative is in the accusative as a result of the stylistic change. When an Arab makes a stylistic change, a change in the syntactic style takes place. The impact of these stylistic changes can be noticed in the indicative and the structural in Arabic syntax through considering the syntactic mark of the vocative in addition to its structure.

تفسير العلامة الإعرابية في جملة النداء

يعرف سيبويه المنادى تعريفاً وظيفياً تركيبياً بأنه "كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهارُه. والمفرد رفعٌ وهو في موضع اسم منصوب"[1]، يلاحظ من خلال هذا التعريف أن هناك إضماراً، وهذا الإضمار يكون واقعاً على فعل محذوف. يقول المبرد[2]: "اعلم أنك إذا دعوت مضافاً نصبته، وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره".

فالأغلب في جملة النداء أن يسد حرف النداء مسد الفعل المتروك[*]. وقُدِّر هذا الفعل عند النحاة بـ(أدعو)، أو(أنادي)، فجملة النداء جملة فعلية فعلها وفاعلها مقدّران، وبقي مفعولها. فالبنية العميقة (المقدرة) لجملة (يا زيد) هي (يا _أدعو أنا_ زيداً)، فحُذِف الفعل حذفاً لازماً؛ لدلالة حرف النداء عليه وإفادته فائدته.

واختلف النحويون حول ناصب المنادى في جملة النداء؛ فسيبويه على حذف الجملة الفعلية (الفعل والفاعل)، وإبقاء المفعول به، وعلى هذا التفسير يكون المنادى منصوباً أو في محل نصب، وبهذا يكون سيبويه قد استعمل قانون الحذف المعرف في علم اللغة الحديث، ليسوّغ غياب عناصر الإسناد في الجملة.

وذهب المبرد إلى أن حرف النداء سدَّ مسدَّ الفعل، والفاعل مقدّر، وعلى المذهبين يكون المفعول به (المنادى) واجب الذكر لفظاً أو تقديراً، إذ لا نداء دون المنادى،[3] وبهذا يكون المبرد قد استعمل قانون التعويض لتحويل الجملة.

يقول محمد حماسة عبد اللطيف: "وهنا نجد اختلاف سيبويه والمبرد في إجراء قوانين التّحويل، إذ يستعمل سيبويه قانون الحذف، ويستعمل المبرد قانون التعويض، ولكنهما متفقان على أن أسلوب النداء محوّل عن تركيب آخر هو (أدعو زيداً) وهذا تفسير للتركيب المنطوق"[4].

ولنحويي العربية في جملة النداء آراء[5]:

الأول: أن عامله فعل مضمر وجوباً، وهذا رأي الجمهور فهو مفعول به، ولإضماره أسباب، هي:

1. الاستغناء بظهور معناه.
2. أنهم قصدوا بعبارة النداء الإنشاء، ووجدوا أن إظهار الفعل يوهم الإخبار فتحاشوا إظهاره.
3. كثرة استعمالهم النداء.
4. أنهم عوضوا من هذا الفعل حرف النداء، والعرب لا تجمع في الكلام بين المعوض والمعوض منه.

الثاني: أن العامل في النداء هو القصد، وقد رده بعض النحويين لعدم وجود عامل نصب معنوي.

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، 2/ 182.

[2] المبرد، **المقتضب**، 202/4.

[*] قضية خلافية، سيتم توضيحها، ينظر الخلاف في السيوطي، **الهمع**، 33/2. والأشموني، **شرح الأشموني**، 141/3.

[3] انظر: الأشموني، **شرح الأشموني**، 209/3.

[4] عبد اللطيف، **من الأنماط التحويلية في النحو العربي**، 36.

[5] انظر: هذه الآراء في ابن هشام، **أوضح المسالك**، 3/4.

الثالث: أن العامل في المنادى هو حرف النداء على سبيل النيابة عن الفعل والعوض عنه به، وإلى هذا ذهب أبو علي الفارسي، وجعل المنادى مشبها بالمفعول به، كما هو عند الجمهور، وردّوه بأن حرف النداء قد يحذف من الكلام، وحينئذ يكون العوض والمعوض منه محذوفين، والعرب لا تجمع بين حذف العوض والمعوض منه كما لا تجمع بينهما في الذكر.

الرابع: أن العامل في المنادى أداة النداء، لأن هذه الأداة اسم فعل مضارع بمعنى (أدعو)، كما أن (أفٍ) اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، ووصف النحاة هذا المذهب بأنه مذهب ضعيف.

الخامس: أن العامل في المنادى هو أداة النداء، على أن هذه الأدوات أفعال لا أسماء أفعال، ولا حروف عوّض بها عن أفعال، وهذا مردود، ومن حجج ردّه أنه لو كانت هذه الأدوات أفعالاً لجاز اتصال الضمير بها كسائر الأفعال.

ويمكن إجراء التّحويلات في جملة النداء على النحو التالي:

مالت العرب إلى حذف عناصر التركيب المكررة أو التي يمكن فهمها من السياق، وبهذا يتم حذف أحد العناصر المكونة للبنية العميقة، لتكوين بنية سطحية، وتتم في النداء عن طريق حذف الفعل والفاعل.

وتعرضت جملة النداء إلى عدد من التّحويلات التي قام بها نحويو العربية، ولعل المراد منها تسويغ الحركات الإعرابية، وتحقيق الإسناد للجملة العربية. ومن هذه التّحويلات افتراض الفعل والفاعل في جملة النداء، وذلك بأن العرب قد قدروا بنية عميقة أو كما يقولون (مقدرة). ومثال ذلك جملة (يا زيد) المحولة عن (يا -أنادي أنا- زيداً)، فقد حذف الركن الفعلي، ويمكن تمثيله بالمشجر التالي:

جملة (أنادي زيداً)

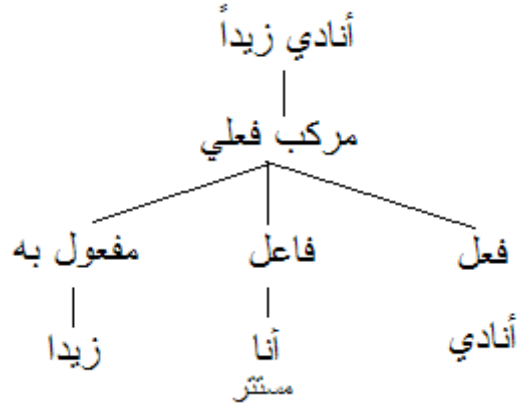

فتتكون البنية العميقة من المركب الفعلي المكون من الفعل والفاعل والمفعول به.

ووفقاً لقانون الحذف، يتم حذف الركنين الفعلي والاسمي اللذين يكونان الجملة الفعلية (الفعل والفاعل)، ويتم التعويض عن الجملة الفعلية بأداة نداء تدل على ما دلت علية جملة النداء. وقد أشار إلى هذا نحويو العربية من قبل، يقول السيوطي: "من المنصوب مفعولاً به بفعل لازم الإضمار باب المنادى، وللزوم الإضمار أسباب:

الاستغناء بظهور معناه، قصد الإنشاء – وإظهاره يوهم الإخبار – وكثرة الاستعمال، والتعويض منه بحرف النداء ويقدر بـ(أنادي) أو (أدعو) إنشاءً. وهذا مذهب الجمهور"[1].

[1] السيوطي، **الهمع**، 32/2.

فالسيوطي يعدُّ قصد الإنشاء سبباً وراء إضمار الفعل والفاعل (أدعو) أو (أنادي)، وإن إظهار هذه الأفعال سيوهم أن الجملة خبرية؛ لذا تم إضمار الجملة الفعلية.

ويمكن تمثيل الحذف ثم التعويض عنه بالمشجر الآتي:

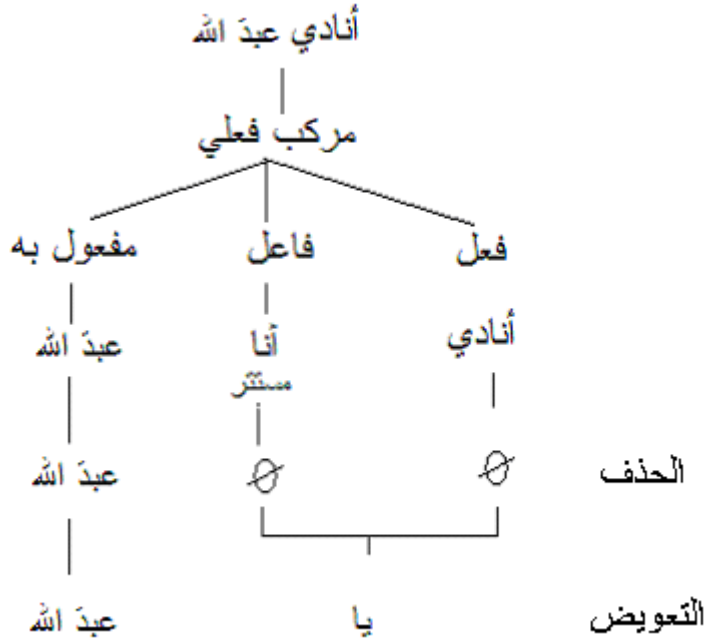

تم حذف الركنين الفعلي والاسمي اللذين يكونان الجملة الفعلية (الفعل والفاعل)، والتعويض عنهما بحرف النداء، فالبنية العميقة مكونة من مسند ومسند إليه وفضلة، ثم حذفت عناصر الإسناد وظلت الفضلة، لحلول عنصر النداء محل عناصر الإسناد.

وعلى رأي جمهور النحويين فإن عناصر الإسناد قد تحققت لجملة النداء في بنيتها العميقة (المقدرة). ويمكن تمثيل حذف جملة الإسناد بالمشجّر الآتي:

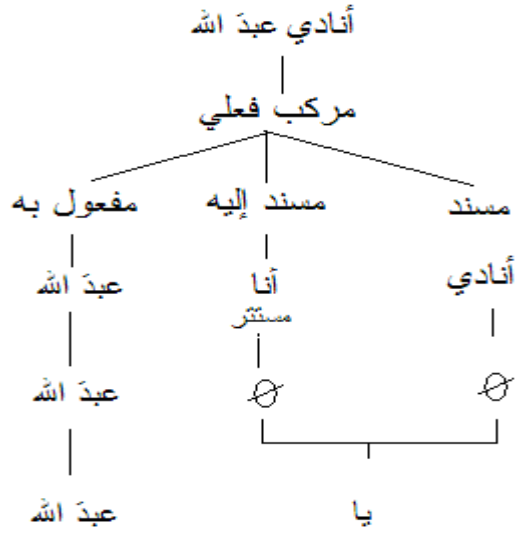

جاء في شرح الرضي على الكافية[1]: "والاسم مع الحرف لا يكون كلاما، إذ لو جعلت الاسم مسنداً فلا مسند إليه، ولو جعلته مسنداً إليه فلا مسند، وأما نحو (يا زيد) فلسدّ (يا) مسد (دعوت) الإنشائي، والفعل مع الفعل أو الحرف لا يكون كلاماً لعدم المسند إليه، أما الحرف مع الحرف فلا مسند فيهما ولا مسند إليه".

فحرف النداء مع المنادى لا يكفي لأن يكوّن جملة إسنادية، فلا بد للنحويين من البحث عن طريقة لتقدير المسند والمسند إليه في الجملة، وفي هذا تكريس لقضية تحقيق الإسناد في جملة النداء، لذا فهم يقدّرون جملة إسنادية ثم يحذفونها؛ وذلك لتحقيق الإسناد، ومن هذا التقدير جاء التحوّل من البنية العميقة التي تشمل المسند والمسند إليه، إلى الجملة التي تشمل حرف النداء والمنادى.

وقد تحذف أداة النداء التي جيء بها بعد حذف الجملة الفعلية، أو بدلاً من الجملة الفعلية، ومهما يكن من أمر اختلاف في التأويل، إلا أن النحويين اتفقوا على أن البنية العميقة هي وجود جملة فعلية، سدّ مسدها في البنية السطحية حرف النداء، وقد يحذف حرف النداء ويقدر بـ (يا) دون سائر أخواتها من حروف النداء، ويتم الحذف حسب المشجر الآتي:

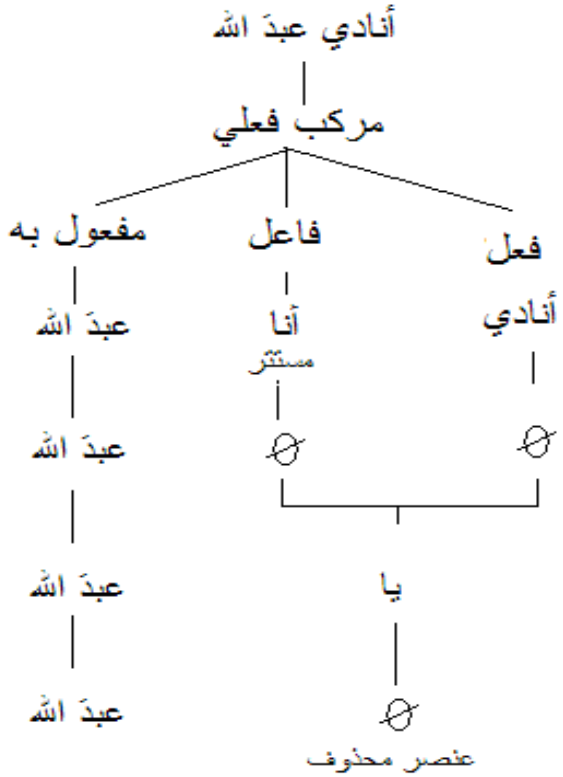

وهذا إجحاف بحق تركيب الجملة، حيث تقدَّر أداة النداء ثم يتم حذفها.

ومن أمثلته قوله تعالى: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)2 و (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ)[3].

[1] الرضي، **شرح الرضي على الكافية**، 34/1.
[2] سورة يوسف: 29.
[3] سورة الرحمن: 31.

وقول زهير[1]:

تَبَصَّرْ خَلِيلِيْ هَلْ تَرَى مِنْ ظَعائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

وهو كثير في لسان العرب، إلا أنه يكثر في الآيات التي يكون متمم النداء فيها جملاً دُعائية[2].

ومن المواضع التي لا يجوز فيها الحذف – على مذهب البصريين:

1. اسم الله، إذا لم تلحقه الميم نحو: اللهمَّ .
2. المشتقات، نحو: (يا لزيد).
3. المتعجب منه، نحو: (يا للسماء).
4. المندوب، نحو: (يا زيداه).
5. اسم الجنس.
6. اسم الإشارة.
7. النكرة غير المقصود لذاتها.

واختلفوا في حذف المنادى[3] وإبقاء حرف النداء، فذهب ابن مالك إلى جوازه قبل الأمر والدعاء، وخرّج عليه قوله تعالى: (ألا يسجدوا) من قوله تعالى: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) فقد قرأها الكسائي[4] (ألا) خفيفة وقرأها الباقون بالتشديد، فمن خفف جعلها تنبيهاً، و(يا) نداء، والتقدير (ألا يا هؤلاء اسجدوا لله)" ويجوز أن يكون (يا) تنبيهاً ولا منادى هناك"[5]. واستشهدوا بقول الشاعر:

يا لَعْنَةُ اللّهِ والأقْوامِ كُلِّهِمِ والصالحِينَ على سَمْعانَ مِنْ جارِ[6]

أي (يا قوم) أو (يا هؤلاء).

يقول أبو حيان: والذي يقتضيه النظر أنه لا يجوز؛ لأن الجمع بين حذف فعل النداء وحذف المنادى إجحاف، ولم يرد بذلك سماع عن العرب. ويخرّج (يا) في الشاهدين السابقين ونحوهما على أنها للتنبيه.

ويرى ابن مالك أن حق المنادى أن يمنع حذفه؛ لأن عامله حذف لزوماً، إلا أن العرب أجازت حذفه والتزمت إبقاء (يا) دليلاً عليه، ويكون ما بعده أمراً أو دعاء، لأنهما داعيان إلى توكيد المأمور والمدعو. فاستعمل النداء قبلهما كثيراً حتى صار الموضع منبهاً على المنادى، إذ حذف وبقيت (يا) فحسن حذفه لذلك.

---

[1] زهير بن أبي سلمى، 1982، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرح شعر زهير، 72.

[2] انظر: مصطفى، محمود، 1981، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، ص329.

[3] انظر الخلاف في السيوطي، **الهمع**، 43/2-44.

[4] ينظر قراءة الكسائي في ابن خلف المقرئ، 1985، **العنوان في القراءات السبع**، ص26.

[5] انظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، 310/1.

[6] البيت بلا نسبة في سيبويه، **الكتاب**، 219/2، والزمخشري، **المفصل في علم العربية**، بذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل، للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ص48 ، وابن هشام، **المغني**، 430/2.

وعلى الرغم من الخلاف الذي وقع بين نحويي العربية، إلا أن هناك شواهد واردة في كتب النحو على حذف المنادى منهما قول الشاعر[1]:

فخَيْرٌ نحنُ عندَ النّاسِ منكُمْ إذا الدّاعي المثوِّب قالَ يالا

أراد (يا لبني فلان)

وقال السكاكي[2]: "حذف المنادى كنحو: (يا بؤس لزيد) و (ألا يا سلمى) جائز". ورد في شرح الرضي على الكافية "قال ابن الحاجب: وقد يحذف المنادى لقيام القرينة، نحو: (ألّا يسجدوا)، قال الرضي: المنادى مفعول به، فيجوز حذفه، إذا قامت قرينة دالة عليه، بخلاف سائر المفعول به فإنه قد يحذف نسياً منسيّاً"[3].

عند النظر في جملة النداء المكونة من البنية العميقة (الجملة الفعلية + الفضلة)، وقد تحولت إلى بنية سطحية (أداة نداء + فضلة "منادى")، فإن أداة النداء أصبحت جزءاً رئيساً من أجزاء الجملة، وكذلك المنادى، وعند حذف المنادى فإن المتبقي من عناصر الجملة الندائية هو أداة النداء، وهذا لا يكفي، إذ لا بد من قرينة مشيرة إلى أن هذه الجملة ندائية، فحددها بعض النحويين الذين قالوا بجواز حذف المنادى بحالات، كأن يكون متمم النداء دعاءً أو أمراً.

وعلى هذا، فيمكن تمثيل حذف حر النداء على النحو الآتي:

(يا بؤس لزيد) - (يا هؤلاء بؤس لزيد) -(أدعو هؤلاء بؤس لزيد)

فحذفت الجملة الفعلية وبقيت الفضلة، وبقي حرف النداء، وحذفت الفضلة.

فالبنية العميقة المفترضة (أدعو هؤلاء بؤس لزيد)، والبنية السطحية (يا بؤس لزيد).

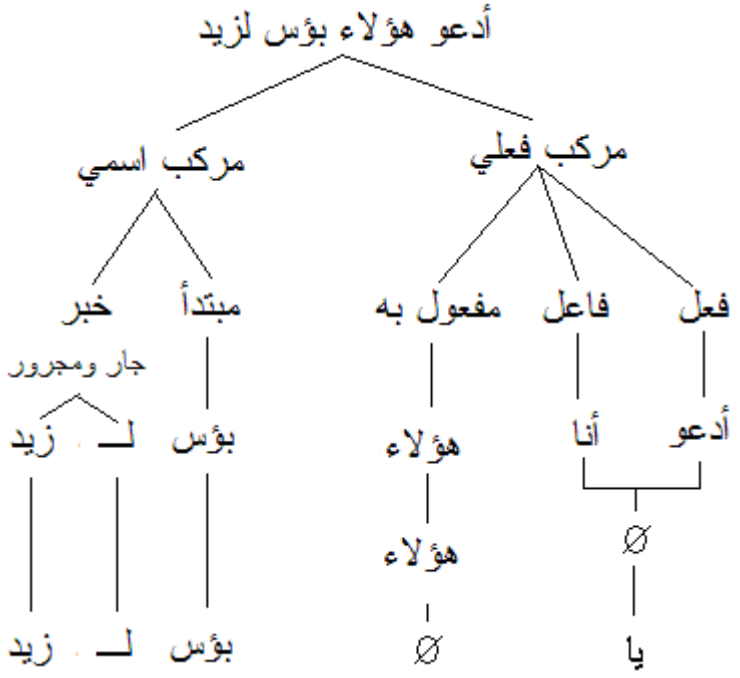

[1] البيت لزهير بن مسعود الضبي في السيوطي، **شرح شواهد المغني**، 595/2، وبلا نسبة في ابن جني، **الخصائص**، 153/2، وابن هشام، **المغني**، 245/1.

[2] السكاكي، **مفتاح العلوم**، 44/1.

[3] انظر: الرضي، **شرح الرضي على الكافية**، 389/1.

فجملة النداء تامة إلا أن أداة النداء التي تشير إلى أصل الجملة حذفت، مع وجود متمم النداء، وقد أشار ابن مالك إلى أن ما بعد النداء من أمر أو دعاء داع إلى توكيد المأمور والمدعو فاستعمل النداء قبلها كثيراً حتى صار الموضع منبهاً على المنادى إذا حذف، وبقيت (يا) فحسن حذفه.

وقد يتم التعويض بوضع عنصر محل عنصر آخر، حيث يتم إحلال عنصر النداء (أو حرف النداء) محل الجملة الفعلية (أدعو) أو (أنادي).

ويمكن تمثيل هذا بالمشجر الآتي:

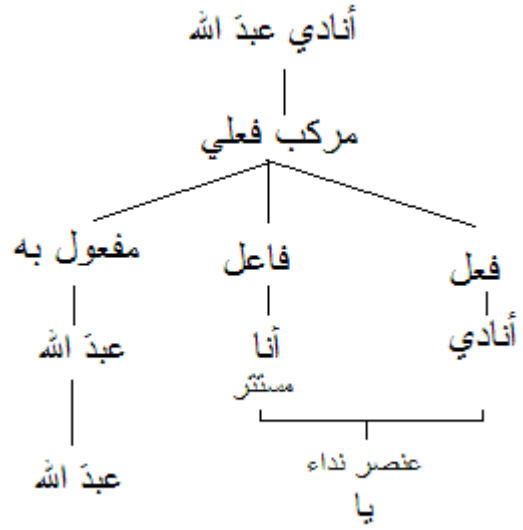

فيتحول الأسلوب الخبري إلى أسلوب إنشائي، وذلك بتعويض عنصر النداء محل الجملة الفعلية. ذلك أن حرف النداء قد سد مسدّ الفعل والفاعل، وبقي المفعول به ليصبح منادى بعد التحوّل الأسلوبي الذي طرأ على الجملة الخبرية.

وفي هذه الحالة يتم تعويض عنصر النداء محل المسند والمسند إليه، ولعل اختلاف آراء علماء العربية في جملة النداء ناجم عن تحكم نظرية العامل ونظرية الإسناد بتفكيرهم النحوي، إذ إنهم لم يتخلوا عن المسند والمسند إليه في كلامهم، فأرادوا ذكر عناصر الإسناد في جملة النداء؛ لأنهم يرون أن "الاسم مع الحرف لا يكون كلاماً، إذ لو جعلت الاسم مسنداً فلا مسند إليه، ولو جعلته مسنداً إليه فلا مسند، وأما نحو (يا زيد) فلسدّ (يا) مسد (دعوت) الإنشائي"[1].

[1] انظر: الرضي، **شرح الرضي على الكافية**، 23/1.

ويمكن تمثيل تعويض المسند والمسند إليه بما يأتي:

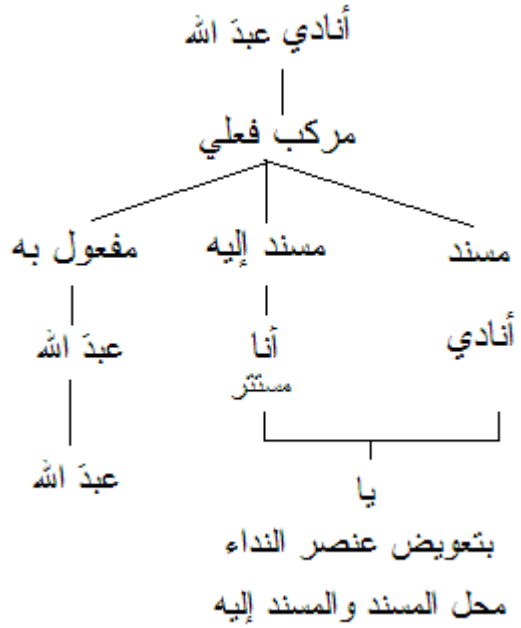

ويتبين مما ذُكر أن عنصر النداء (يا) قام مقام الجملة الفعلية في الجملة التّحويلية.

وقد يستعمل قانون التوسيع في جملة النداء، حيث يتم من خلال توسيع أحد أركان الجملة أكثر مما كان عليه قبل التّحويل، ويعرف سمير ستيتية التوسعة بأنها: "جعل عنصر من عناصر الجملة أكثر اتساعاً مما كان عليه قبل النداء"[1]. ومثال التوسعة في جملة النداء تعدد أدوات النداء، إذ إن هناك أكثر من أداة نداء للمنادى الواحد، ومنه (يا أيها الرجل)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[2]، فهناك من يعد (أيُّ) أداة نداء.

يا أيها الرجل ـ أصلها ـ أنادي أنادي الرجل

ونتيجة تكرار الجملتين الفعليتين هي التأكيد، ولأهمية المنادى، وانتباهه إلى المنادي، ولجعله ينبه ما يُسمع، فكثرت في القران الكريم، ومنها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)[3]، و قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)4، (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)5، فهذا التوسع يقدم دلالة معنوية وتركيبية.

فقد أدرك نحويو العربية ما يمكن أن يتركه الانتقال من الخبر إلى الإنشاء من أثر على الجملة العربية والمراد بها، ولقد تنبه العرب إلى قضية المقدر والظاهر الذي يسمى في المنهج التّحويلي الحديث (البنية العميقة) و(البنية السطحية).

---

[1] استيتية، سمير، **الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية**، بحث منشور، 43.

[2] سورة البقرة: 278.

[3] سورة الكافرون: 1.

[4] سورة الحجرات: 11.

[5] سورة المدثر: 1.

وأدرك العرب أيضاً ما يتركه التحوّل من الخبر إلى الإنشاء من أثر في بنية الجملة السطحية، من أمثلة ذلك جملة النداء، فقد أدرك نحاة العربية أن للانتقال من الخبر إلى الإنشاء أثراً في البنية السطحية، فقد جاء في الهمع[1]: "من المنصوب مفعولاً به بفعل لازم الإضمار باب المنادى، وللزوم إضماره أسباب: الاستغناء بظهور معناه، وقصد الإنشاء، وإظهار الفعل يوهم الإخبار...".

فمن أسباب التّحويل من البنية العميقة التي تحتوي فعلاً لزم إضماره قصد الإنشاء؛ لأن الفعل إذا ظهر في جملة النداء يوهم الإخبار، والبلاغيون يقولون: إن النداء من باب الإنشاء.

وترك هذا التحوّل من الخبر إلى الإنشاء أثراً في بنية الكلام، وفي دلالته، فقد تحولت الجملة الخبرية (أنادي عبد الله) إلى جملة إنشائية (يا عبد الله)، وهذا التّحويل في البنية لابد من أن يكون تأثر بتحويل أسلوب المتكلم، فعندما لم يرد المتكلم الإخبار، استخدم عنصر التّحويل (أداة النداء)؛ ليشعر السامع بأن الأسلوب تحول من الخبرية إلى الإنشاء، زيادة على التطريزات أو البروسودات الأخرى، ومن أهمها تطريز أو بروسود التنغيم الذي عوّض قضية الإسناد.

وذكر الألوسي[2] أن أداة النداء دالة على ناديت اللازم الإضمار بظهور معناه مع قصد الإنشاء.

يقول ابن جني[3] في فعل النداء: "ألا ترى أنه لو تُجشِّم إظهاره فقيل: (أدعو زيداً) و(أنادي زيداً) لاستحال أمر النداء، فصار في لفظ الخبر المحتمل للصدق والكذب، والنداء مما لا يصح فيه تصديق وتكذيب".

ويجمع علماء العربية على أن الانتقال من الخبر إلى الإنشاء يؤثر في بنية الجملة إلا أنهم "لم يلتفتوا إلى أثر ظاهرة التّحويلات الأسلوبيّة في الإعراب؛ ويعود السبب في هذا إلى سيطرة نظرية العامل على التفكير النحوي"[4]. ولعل هذا ما جعلهم يقدرون البنية العميقة بجملة فعلية، حتى يتحقق لديهم الإسناد ويظهر العامل والمعمول.

وقد ذكر النحويون تقديرات كثيرة للبنية العميقة فقد قالوا بأن عامله فعل مضمر وجوبا، ومنهم من قال إن العامل في النداء هو القصد، ومنهم من قال بأن العامل فيه حرف النداء على سبيل النيابة في الفعل والعوض عنه، ومنهم من قال إن العامل في المنادى هو أداة النداء لأن هذه الأداة اسم فعل، ومنهم قال إن العامل في المنادى هو أداة النداء، إلا أن هذه الأدوات هي أفعال لا أسماء أفعال.

وهذا التعدد يشير إلى تعدد الافتراض في الجملة التي تعد أصلاً "وهذا الاختلاف في تحديد الجملة المحول عنها لا ترفضه النظرية الحديثة، بل تراه سائغاً مقبولاً، شريطة أن يبين المفسر كيف تحولت إلى البنية السطحية"[5].

فمن قالوا بأن عامله فعل مضمر وجوباً . وهذا رأي الجمهور. فهو مفعول به، ذكروا أسباباً لإضماره، يعللون من خلالها سبب الإضمار وإبقاء البنية السطحية التي هو عليها، وهذه الأسباب كثيرة تم ذكرها سابقا، فهؤلاء النحويون أدركوا أن البنية العميقة بنية خبرية، وأن النداء إنشاء، فذكروا من أسباب الإضمار قصد الإنشاء، فهم يضمرون الجملة الفعلية ويزيدون حرف النداء دالاً عليها، وفي هذه الحالة يستعملون قانون الحذف.

---

[1] السيوطي، **الهمع**، 2/32-33.

[2] الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 1/203.

[3] ابن جني، **الخصائص**، 1/213.

[4] العبابنة، يحيى، **أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية**، بحث منشور، 16-17.

[5] محمد حماسة عبد اللطيف، **من الأنماط التحويلية في النحو العربي**، 30.

أما الفريق الثاني الذي يخص هذه الدّراسة، فهو فريق من قالوا بأن العامل في النداء هو حرف النداء على سبيل النيابة عن الفعل والعوض عنه به، وهؤلاء يرون أن البنية المقدّرة (العميقة)، هي أيضاً خبرية (جملة فعلية)، ناب حرف النداء عنها؛ لينتقل التعبير من الخبر إلى الإنشاء، وفي هذه الحالة يجري استعمال قانون تحويلي آخر وهو قانون التعويض.

ويرجع هذا الخلاف إلى أن العرب قد التزموا بنظرية العامل، الأمر الذي دعاهم إلى افتراض بنية عميقة لهذا النمط اللغوي، والذي تراه الدّراسة أن المنادى منصوب بالتحوّل الأسلوبي؛ لأن العربي عندما يغيّر في أسلوبه يغير في التركيب الأسلوبي للنمط اللغوي.

ويظهر أثر التّحويلات الأسلوبيّة ماثلا بين الخبر والإنشاء في النحو العربي من خلال النظر في حركة إعراب المنادى أو بنائه، فهناك أسماء محددة في النداء قال النحويون إنها منصوبة، وهي ثلاثة أنواع:

1. النكرة غير المقصودة، ويشهد عليها قول الشاعر:

فيا رَاكِبَاً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامَايَ من نجرانَ ألا تَلاقِيَا[1]

2. المضاف، نحو: (ربنا اغفر لنا).
3. المنادى الذي يفتقر إلى ما يُتمُّ معناه، وهو ما سماه بعضهم "الشبيه بالمضاف"، وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه نحو: (يا طالعاً جبلاً).

ومنها ما هو مبني على ما يرفع به لو كان معرباً وهو العلم، نحو: (يا عليُ)

النكرة المقصودة، نحو: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)[2].

ومنها ما يجوز ضمه وفتحه وهو نوعان:

الأول: أن يكون علما مفرداً موصوفاً بابن متصلاً به مضافاً إلى علم، نحو (يا خالدَُ بن الوليد).

والثاني: أن يتكرر، نحو (يا سعدَُ سعد).

وهذا الاختلاف في أصل جملة النداء جعل نفراً من علماء العربية المحدثين يعيدون النظر في جملة النداء بأكملها. فعبد الرحمن أيوب مثلاً يرى أن الجملة العربية تنقسم إلى قسمين:

جملة إسنادية وهي ما توجد فيها العناصر الإسنادية في الإفادة، وجملة غير إسنادية، وتشمل (جملة النداء، وجملة نعم وبئس، وجملة التعجب)، ويرى أن هذه الجمل لا يمكن أن تعتبر من الجمل الفعلية لمجرد تأويل النحاة لها بعبارة فعلية، ومنهم من أطلق عليها "جملة فعلية غير إسنادية"[3].

ويرى مهدي المخزومي[4] أن أسلوب النداء يتكون من أداة نداء ومنادى، وهذا هو أسلوب النداء ولا يؤدَّى هذا الأسلوب بغير هذا اللفظ، وأن حذف الأداة وإقامة الفعل الذي قدّروه يذهب بالدلالة المقصودة من أسلوب النداء، ويتحول الكلام به من كونه إنشاء إلى كونه خبراً.

---

[1] ينظر البيت في المفضل الضبي، **المفضليات**، 156، وابن يعيش، **شرح المفصل**، 251/1، والأشموني، **شرح الأشموني**، 206/3.

[2] سورة الأنبياء: 69.

[3] انظر: أيوب، عبد الرحمن، **دراسات نقدية في النحو العربي**، 129، والسامرائي، إبراهيم، **الفعل زمانه وأبنيته**، 211.

[4] انظر: المخزومي، مهد0، **في النحو العربي نقد وتوجيه**، 38.

على أنه يمكن تفسير سبب نصب المنادى في حالاته السابقة، ولكن لا يمكن لهم أن يفسروا بناء المنادى العلم والشبيه بالمضاف على الضم، بينما يمكن تفسير ذلك بالتّحويل الأسلوبي، فالعربي عندما يغير في أسلوبه من الخبر إلى النداء فإن حركة المنادى تتغير تبعاً لذلك؛

يذهب النحويون إلى أن الأصل في محله هو النصب، إلا إنهم لم يعللوا هذه الظاهرة اللغوية تعليلاً كافياً، فقد ذكر ابن الأنباري مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين حاول أن يبين فيها الخلاف في المنادى المفرد العلم معرب أو مبني[1]. وقد ترك النحويون ما يشير إلى الجملة الفعلية المحذوفة عندما قالوا بأن المبني على الضم في محل نصب.

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي وهو طلب استجابة المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة إلى معان أخرى، كالاستغاثة، نحو: (أولى القوة للضعفاء)، والتعجب، نحو: (يا لجمال الربيع!)، والندبة، نحو: (واكيدي، يا ولداه!)، والاختصاص، نحو: (بعلمكم أيها الشباب يعتز الوطن وينهض)[2].

الخلاصة:

أظهرت هذه الدراسة أنه يمكن أن نفسر الحركة الإعرابية في آخر المنادى بأنها نتيجة لتحول الأسلوب الخبري إلى أسلوب إنشائي كما نص عليه النحويون، وهذا واضح فيما ذكره السيوطي من تعليل لجملة النداء فهو يرى أن قصد الإنشاء سببا وراء إضمار الفعل والفاعل في فعل النداء، وإن إظهار هذه الأفعال سيوهم أن الجملة خبرية؛ لذا تم إضمار الجملة الفعلية.

ولو نظرنا إلى الجملة العميقة نجدها تحوي فعلا لزم إضماره قصد الإنشاء، لأن هذا الفعل إذا ظهر أصبحت الجملة خبرية، فحاولت هذه الدراسة تعليل النصب في جملة النداء، إذ ترى أن السبب في هذا هو تحويل أسلوب المخاطب من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي.

[1] انظر: الأنباري، **الإنصاف**، 323/1.

[2] انظر: عتيق، **علم المعاني والبيان والبديع**، 111، وابن هشام، **أوضح المسالك**، 46/4.

المراجع:

القرآن الكريم.

- ابن أبي سلمى، زهير، 1982، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرح شعر زهير، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- استيتية، سمير، 1989، الأنماط التّحويلية في الجملة الاستفهامية العربية، بحث منشور، **مجلة المورد**، بغداد، المجلد 18، ربيع 1989، العدد الأول، 43-45.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، 2001، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطيّة، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنّة الجديدة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن، 1987، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- أيوب، عبد الرحمن، 1957، **دراسات نقدية في النحو العربي**، القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، 2001، **الخصائص**، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1.
- رضي الدين، محمد بن الحسن الإستراباذي، (د.ت)، **شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية.
- الزمخشري، محمود بن عمر، (د.ت)، **المفصل في علم العربية**، بذيلة كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل، للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط2، دار الجليل، لبنان.
- السامرائي، إبراهيم، 1980، **الفعل زمانه وأبنيته**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2.
- السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، 1980، **مفتاح العلوم**، تحقيق أكرم عثمان يوسف، بغداد.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، (د.ت)، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1.
- السيوطي، جلال الدين، (د.ت)، **شرح شواهد المغني**، المطبعة البهية، مصر.
- السيوطي، جلال الدين، (د.ت)، **همع الهوامع**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- الصبان، محمد بن علي، 1997، **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ضبطه وصححه وخرّج شواهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1.
- الضبي، المفضل، 1976، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط5.
- العبابنة، يحي، 1993، **أثر التّحويلات الأسلوبيّة في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية**، بحث منشورات، جامعة اليرموك، مجلد 11.
- عبد اللطيف، محمد حماسة، 2006، **من الأنماط التّحويلية في النحو العربي**، دار غريب، القاهرة.
- عتيق، عبد العزيز، (د.ت)، **علم المعاني والبيان البديع**، دار النهضة العربية، بيروت.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزد، 1999، **المقتضب**، تحقيق حسن محمد، مراجعة الدكتور إميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- المخزومي، مهدي، 1980، **في النحو العربي نقد وتوجيه**، بيروت، ط2.
- مصطفى، محمود، 1981، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- المقرئ، إسماعيل بن ابن خلف، 1985، **العنوان في القراءات السبع**، تحقيق زهير زاهد خليل العطية، عالم الكتب، بيروت.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، (د.ت)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، 1992، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (د.ت)، **شرح المفصل**، تحيقيق احمد السيد ومراجعة اسماعيل عبد الجواد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.